سورةُ الفَجْرِ

الجزء الأول

من الآية (1) إلى الآية (14)

أسماء السورة:

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الفَجْرِ) .

بيان المكي والمدني:

سورةُ الفَجرِ مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.

مقاصد السورة:

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

1- تَثْبيتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

2- إثباتُ اليومِ الآخِرِ، والحسابِ بالثَّوابِ والعِقابِ .

موضوعات السورة:

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتِتاحُ السُّورةِ بالقَسَمِ بخمسةِ أشياءَ شريفةٍ.

2- تَذكيرُ المشرِكينَ بما حَلَّ بالمكَذِّبينَ مِن قَبْلِهم، كقَومِ عادٍ وثَمودَ وفِرعَونَ.

3- بيانُ أحوالِ الإنسانِ في حالِ غِناه وفي حالِ فَقْرِه، وأنَّ كَثرةَ النِّعَمِ ليست دليلًا على إكرامِ اللهِ للعَبْدِ، ولا التَّضييقُ دليلٌ على إهانتِه.

4- وَصفُ يومِ القيامةِ وما فيه مِن أهوالٍ، وتأسُّفُ الإنسانِ يومَئذٍ على تفريطِه.

5- تبشيرُ أصحابِ النُّفوسِ المؤمِنةِ المطمَئِنَّةِ.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

وَالْفَجْرِ ﴿1﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿2﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿3﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿4﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿5﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿6﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿7﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿8﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿9﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿10﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿11﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿12﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿13﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿14﴾.

سمى بعض العلماء هذه السورة بسورة البشرى والفجر، مع ملاحظة مهمة أن هذه السورة تتكلم عن الأقوام وظلمهم والظلام الذي يحيط بأممهم ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ))، ظلم، وتجبر، وطغيان، شرك، وكفر، وجهل، ومعاصي، وقهر الضعفاء والمساكين، استبداد ظلام فوقه ظلام، طغاة يتجبرون على أقوامهم ... ولكن عندما نأت الى اسم السورة الفجر نشعر بالراحة، والبشرى، والأمل، لأن الفجر يأتي بعد أشد الاوقات ظلمة، ولابد لليل أن ينجلي، ولا بد من الانفراج، حتماً بعد الظلام الدامس نور، وبعد الليل النهار، وبعد الفجر الصباح، حتماً بعد ليل الشقاء والعذاب والتعب، من فجر للقلوب المجروحة التي تعيش في هم وكرب وغم وتنتظر الفرج والنصر.

علاقه بداية السورة بنهايتها:

فقد بدأت السورة بالفجر الذي هو رمز للبداية في كل شيء فمع تنفس الفجر تتنفس الحياة ويستيقظ الكون ليعلن ميلاد يوم جديد يبدأ بالأمل، يبدأ بالإنسان بالأمل والتفاؤل والفجر ليس فقط للبداية وإنما هو للبداية المباركة التي فيها خير كثير والتي تعود غالبا على من يستثمر وقت الفجر بالخير الكثير حتى في أمور الدنيا فالتاجر الذي يقوم مبكرا يربح والموظف الذي يقوم مبكرا يحسن في عمله والطالب الذي يقوم مبكرا يفوز بالدرجات العليا والأسرى التي تقوم مبكره وتستغل أوقات البركة هي اسرة طيبة مباركة، والذي يذهب عليه الفجر يفوته خير كثير، يكفي ما أخبر به النبي –ρ– "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ" صحيح البخاري ، "مَن صَلَّى الصُّبْحَ فَهو في ذِمَّةِ اللهِ" صحيح مسلم ، فعلى الإنسان في مطلع كل يوم جديد ان يستثمره في طاعه الله فإذا فعل ظفر بنهاية مشرقة مشرفة، آخر كلمة في السورة ((ادخلي في عبادي وادخلي جنتي)) إذا كانت البداية ترضي الله، تحرصي دائماً على تقواه، ستكون النهاية ترضيك وتغنيك عن الدنيا وما فيها، ادخلي جنتي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، العاقبة الحسنى للمتقين في الآخرة، سيعوضك الله عن كل ظلم وظلام كان في حياتك، وسينسيك أي ألم، "يؤتَى بأشدِّ المؤمنينَ ضرًّا ، وبلاءً ، فيقالُ: اغمِسوهُ غمسةً في الجنَّةِ ، فيُغمَسُ فيها غمسةً ، فيقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ ضرٌّ قطُّ ، أو بلاءٌ ، فيقولُ: ما أصابَني قطُّ ضرٌّ ، ولا بلاءٌ" صحيح ابن ماجه.

السورة بدأت بخمسه أقسام والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ما هو الجامع هناك رابط يربط بين هذه الأقسام ويدلنا على تناسق الآيات الجامع والرابط بين هذه الاقسام التي يقسم الله سبحانه وتعالى بها هو الزمن والهدف من القسم بالزمن هو واحد من ثلاثة أشياء يريدها الله سبحانه وتعالى:

أولاً: اظهار قدرة الله سبحانه وتعالى على المداولة بين الليل والنهار والمداولة بين الأزمنة وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ.

ثانياً: هو التنبيه على الأزمنة المشرفة التي يستحب فيها فعل الخير ويأنس لها المؤمن وينتظرها بشوق ويقوم فيها بفعل الطاعات والتزود للآخرة.

ثالثاً: هو التذكير بالأزمنة التي أهلك الله بها سبحانه وتعالى بها الظالمين لتكون ذكرى وعبره لمن جاء بعدهم ((والفجر وليال عشر)).

﴿وَالْفَجْرِ﴾ ﴿1﴾

(وَالْفَجْرِ) أي: أُقسِمُ بالفَجْرِ، وهو وقتُ ابتداءِ ظُهورِ النُّورِ في الأُفُقِ الشَّرقيِّ قبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ. موسوعة التفسير

يقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر، ذكر أهل العلم عدة معاني للفجر، منهم من قال انه فجر يوم النحر ومنهم من قال فجر اول يوم من محرم، ومنهم من قال بأنه الفجر الصادق الممثل لبداية الخير والبركة لكل يوم وهو وقت صلاه الفجر، وقد اقسم الله سبحانه وتعالى في موضع آخر بالصبح ((والصبح اذا تنفس)) الصبح هو فاتحه اليوم في حياة المسلم ليعلم الإسلام أهله ان يبدأوا كل أمر بطاعة الله، وهنا في هذه الآيات أشار الله سبحانه وتعالى الى الفجر والفجر لانفجار النهار وقت الصبح إشارة الى ما يكون في وقت الفجر من فضيلة، وقت زوال النوم، وخروج الناس الى اليقظة والسعي، والانطلاق في الأرض، والله سبحانه وتعالى يقسم بالشيء ونقيضه وعكسه وأقسم بالفجر وأقسم بالليل وهما عكسي بعضهما اشارة الى ان كلا منهما نعمه ولبيان حكمته سبحانه وتعالى ورحمته في خلق الأضداد خلق الله سبحانه وتعالى الليل والنهار والنوم واليقظة والذكر والأنثى وكل ذلك لمصالح العباد، اذا المقصود من الآية هو الفجر المعروف والوقت الفاضل وفي ذلك إشارة الى نعمة الله على عباده ومناجاته وقربه منهم سبحانه وتعالى وخاصةً في الأوقات الفاضلة كوقت السحر الذي هو وقت النزول الإلهي وانسام الرحمة، والأتقياء لهم مواعيد مع الفجر قال سبحانه وتعالى عنهم: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) و(إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا))

قال -ρ-: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ومَلَائِكَةٌ بالنَّهَارِ، ويَجْتَمِعُونَ في صَلَاةِ الفَجْرِ وصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وهو أعْلَمُ بهِمْ: كيفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فيَقولونَ: تَرَكْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتَيْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ". صحيح البخاري

قال ابنُ عثيمين: (الفجر... بيْنَه وبيْنَ طُلوعِ الشَّمسِ ما بيْنَ ساعةٍ واثنتَينِ وثلاثينَ دقيقةً، إلى ساعةٍ وسَبْعَ عَشْرةَ دقيقةً، ويختَلِفُ باختلافِ الفُصولِ؛ فأحيانًا تَطولُ الحِصَّةُ ما بيْن الفَجرِ وطُلوعِ الشَّمسِ، وأحيانًا تَقصُرُ حَسَبَ الفُصولِ).

وقال الرَّازي: (أقسَمَ اللهُ تعالى به لِما يَحصُلُ به مِن انقِضاءِ اللَّيلِ وظُهورِ الضَّوءِ، وانتِشارِ النَّاسِ وسائِرِ الحيواناتِ مِن الطَّيرِ والوُحوشِ في طَلَبِ الأرزاقِ، وذلك مُشاكِلٌ لنُشورِ الموتى مِن قُبورِهم، وفيه عِبرةٌ لِمَن

تأمَّل، وهذا كقَولِه: وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ [المدثر: 34] ، وقال في مَوضِعٍ آخَرَ: وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [التكوير: 18] ، وتمدَّحَ في آيةٍ أُخْرى بكَونِه خالِقًا له، فقال: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [الأنعام: 96]).

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ ﴿2﴾

(وَلَيَالٍ عَشْرٍ) أي: وأُقسِمُ بلَيالٍ عَشْرٍ، وهي عَشْرُ ذي الحِجَّةِ. موسوعة التفسير

والفجر وليال عشر هنا ينتقل سبحانه وتعالى من التعريف الى التنكير فلم يقل والليال العشر وانا قال وليال عشر والتنكير مقصود به هنا للتعظيم وأقوى ما قيل في الليال العشر أنها ليال عشر ذي الحجه وقيل هي العشر الاواخر من رمضان التي فيها ليله القدر وقيل العشر الاول من رمضان والقول الاول أرجح فقد ورد فيه فضل عظيم قال-ρ-: "ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيَّامِ العشرِ . قالوا : يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجل خرج بنفسِه ومالِه فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ" رواه البخاري، وقد شرع في هذه الآيام التسبيح والتهليل والهدي والحج والأضحية والأعمال الصالحة.

✍والواجب على العاقل أن يجتهد في كل وقت، في رمضان، والعشر من ذي الحجة، والأشهر الحرم، بل يبذل ما بوسعه ليرضي ربه في كل زمان ومكان، وأن يكون ربانيا ولا يرتبط بشهر معين إذا انتهى ترك العبادة وانغمس في دنياه، بل يغتنم كل زمان ومكان خصه الله وعظمه، ليكون نهراً متجدداً يغتسل فيه من الذنوب ويجدد إيمانه، فيحب ما أحب الله، ويبغض ما أبغض الله، ويعظم ما عظم الله فذلك الفوز العظيم.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ﴿3﴾

(وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) أي: وأُقسِمُ بالشَّفعِ، وأُقسِمُ بالوَتْرِ. موسوعة التفسير

✍عن ابن عباس أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر .. والشفع: هو الزوج، والوتر: هو الفرد من كل شيء، هذا الرأي قال به مجاهد وقيل أن المقصود بذلك هو الصلاة، ومنها الصلاة الثنائية والرباعية (الشفع)، أما صلاة المغرب وختام الصلاة في آخر الليل (الوتر)، والقسم بأيام خير، أو صلوات دليل على مكانتها عند الله فلنعظمها كما أنها عظيمة عند الله عزوجل.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ﴿4﴾

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ وَقتَ سَيْرِه وسَرَيانِه. موسوعة التفسير

✉تصوير الليل بأنه كائن حي يسري في الظلام وهى دليل على حركة الليل والنهار وتعاقبهما ليتعاقب على المسلم الحركة بالنهار للإصلاح والعمران، وللسكون والقيام بين يدى الرب بالخشوع والتذلل بالليل وهو مزج بين وقت الفجر، وليال خصها بالعبادة والفضل، وصلاة في جوف الليل، ليبين أن هذا هو زاد المؤمن في مواجهه الابتلاء والثبات على طريق الحق .

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ ﴿5﴾

(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) أي: هل في قَسَمِ اللهِ بتلك الأشياءِ مَقنَعٌ وكِفايةٌ لِذي عَقلٍ ولُبٍّ؛ فيَنزَجِرَ ويَرتَدِعَ؟ فإنَّ مَنْ كان كذلك عَلِمَ أنَّ ما أقسَمَ اللهُ به أمورٌ عَظيمةٌ فيها عجائِبُ ودلائِلُ على الحَقِّ، فيتفَكَّرُ فيها، ويعتَبِرُ بها. موسوعة التفسير

۞ والمراد بالحجر العقل، وسمي بذلك لأنه يحجر صاحبه ويمنعه عن ارتكاب مالا ينبغي، كما سمي عقلا، لأنه يعقل صاحبه عن ارتكاب السيئات، كما يعقل العقال البعير عن الضلال.

۞ وإنما سمي العقل حجرًا؛ لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال.

قال ابن عاشور: القَسَمُ بهذهِ الأزمانِ مِن حيثُ إنَّ بَعضَها دَلائلُ بَديعِ صُنْعِ اللهِ وسَعةِ قُدرتِه فيما أوجَدَ مِن نِظامٍ يُظاهِرُ بَعضُه بَعضًا؛ مِن ذلك وقْتُ الفجرِ الجامعِ بيْن انتهاءِ ظُلمةِ اللَّيلِ وابتداءِ نُورِ النَّهارِ، ووَقتُ اللَّيلِ الَّذي تَمحَّضَت فيه الظُّلمةُ، وهي مع ذلك أوقاتٌ لأفعالٍ مِن البِرِّ وعِبادةِ اللهِ وحْدَه، مِثل اللَّيالي العَشْرِ، واللَّيالي الشَّفعِ، واللَّيالي الوتْرِ، والمقصودُ مِن هذا القسَمِ تَحقيقُ المقسَمِ عليه؛ لأنَّ القسَمَ في الكلامِ مِن طُرقِ تَأكيدِ الخبَرِ؛ إذِ القسَمُ إشهادُ المقسِمِ ربَّه على ما تَضمَّنه كَلامُه، وقسَمُ اللهِ تعالَى مُتمحِّضٌ لقصْدِ التَّأكيدِ، والكلامُ مُوَجَّهٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كما دلَّ عليه قولُه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [الفجر: 6] ، وقولُه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر: 14] ؛ ولذلك فالقَسَمُ تَعريضٌ بتَحقيقِ حُصولِ المقسَمِ عليه بالنِّسبةِ للمُنكِرين. وأيضًا المقصدُ مِن تَطويلِ القسَمِ بأشْياءَ: التَّشويقُ إلى المقسَمِ عليه.

قال الزمخشري: (المقسَمُ عليه محذوفٌ، وهو: لَيُعَذَّبُنَّ. يدُلُّ عليه قوله: أَلَمْ تَرَ إلى قَولِه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ).

هنا استفهام تقريري أن القسم بالأوقات والآيات الكونية هذه لا يعرف أهميتها إلا كل ذي عقل، وهو يدعو لليقظة وإثارة الانتباه، فهذا هو التاريخ بصفحاته المفتوحة أمام أرباب العقول عظة وعبرة لهم، تمنعهم من السير في ركاب الطغاة والمتكبرين حتى لا يصيبهم ما أصاب هؤلاء الطغاة أين هم الآن؟ أين عاد قوم هود ؟هل نفعتهم قوتهم وأين ثمود الآن ؟ بنوا بيوتا في الصخر ولم يسكن الإيمان يوماً قلوبهم فكانت أقسى من الصخر لذلك لم يتعظوا ولم ينتهوا عن القبائح فلا تكونوا مثلهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿6﴾

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) أي: ألم تَعلَمْ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم رَبُّك مِن قَبيلةِ عادٍ. موسوعة التفسير

۞ فَهِمَ منه بعضُ أهلِ العلمِ التَّحذيرَ مِنَ التَّطاوُلِ في البُنيانِ، والتَّفاخُرِ والتَّعاظُمِ بتَشييدِ الحِجارةِ.

كما قال تعالى: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة: 6 - 8].

﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ﴿7﴾

(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) أي: إرَمَ ذاتِ الأعمدةِ. موسوعة التفسير

قال ابنُ جُزَي: (مَن قال: إِرَمُ: قَبيلةٌ، قال: العِمادُ أعمِدَةُ بُنيانِهم، أو أعمِدةُ بُيوتِهم مِنَ الشَّعَرِ؛ لأنَّهم كانوا أهلَ عَمودٍ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ: ذلك كنايةٌ عن طُولِ أبدانِهم. ومَن قال: إِرَمُ: مَدينةٌ، فالعِمادُ الحِجارةُ الَّتي بُنِيَت بها، وقيل: القُصورُ والأبراجُ).

كما قال الله تعالى: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ [الشعراء: 128-129] .

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿8﴾

(الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) أي: الَّتي لم يُخلَقْ ما يُماثِلُها في سائِرِ البُلدانِ. موسوعة التفسير

قال البِقاعيُّ: (مِثْلُهَا يصِحُّ أن يعودَ الضَّميرُ على «عادٍ» باعتبارِ القبيلةِ، وعلى «إِرَمَ» باعتبارِ البَلدةِ، وأوضَحَ هذا بقَولِه مُعَمِّمًا للأرضِ كُلِّها: فِي الْبِلَادِ أي: في بِنائِها ومَرافِقِها وثِمارِها، وتَقسيمِ مِياهِها وأنهارِها، وطِيبِ أرْضِها وحُسْنِ أطيارِها، وما اجتَمَع بها ممَّا يفوتُ الحَصرَ ويُعجِزُ القُوَى؛ ولا مِثْلُ أهلِها الَّذين بَنَوها؛ في قُوَّةِ أبدانِهم، وعَظيمِ شأنِهم، وغَيرِ ذلك مِن أُمورِهم).

هذا الوَصفُ البَليغُ صريحٌ بألفاظِه ومعانيه في أنَّه وَصفٌ لحَضارةٍ عُمرانيَّةٍ لا نظيرَ لها؛ فالعِمادُ لا تكونُ إلَّا في القُصورِ والأبنيةِ الباذِخةِ، والمدُنِ المخَطَّطةِ على نظامٍ مُحكَمٍ.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ إضافة الفعل إلى الرب وليس الإله، فالرب هو الذى يربى خلقه بالنعم، والبلايا، لعلهم يعودون إليه، الرب يربينا ويجب أن نتأدب، إن أعطى شكرنا، وإن منع صبرنا، فلا للآشر والبطر، والاستعانة بعطائه على معصيته، والتعالي على خلقه، وقهر الضعفاء والمساكين، ولا يجزع ويكفر إذا منع عنه النعم وضيق عليه، أو إذا اجرى عليه ما يكره من أصناف البلاء، بل يصبر ويرضى، وليعلم العبد أن دوام الحال من المحال، فها هو مصير الظالم إلى زوال، والمظلوم سيشفي صدره برؤية الظالم وهو ذليل كسير حقير معذب، وسيعوضه عن آلمه وقهره بنعيم يجبر كسره.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ﴿9﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا بدَأَ بأولئك -لأنَّ أمْرَهم كان أعجَبَ، وقِصَّتَهم أنزَهُ وأغرَبُ-، ثَنَّى بأقرَبِ الأُمَمِ إليهم زمانًا، وأشبَهِهم بهم شأنًا، فقال

(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) أي: ألَمْ تَرَ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن قَبيلةِ ثَمودَ الَّذين شَقُّوا الجِبالَ في وادِيهم، وصَنَعوا فيها بُيوتًا. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [الأعراف: 74] .

وقال سُبحانَه: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ [الشعراء: 149] .

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ﴿10﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا ذَكَر القَبيلتَين مِنَ العَرَبِ، ذكَرَ بَعضَ مَن جاوَرَهم مِن طُغاةِ العَجَمِ؛ لِما في قِصَّتِهم مِن العُتُوِّ والجَبَروتِ، مع ما حَوَتْه مِن الغرائِبِ وخوارِقِ العَجائِبِ؛ فقال

(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) أي: ألم تَرَ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن فِرعَونَ صاحِبِ الأوتادِ. موسوعة التفسير

قال الخازِنُ: (سُمِّيَ بذلك؛ لكَثرةِ جُنودِه، وكَثرةِ مَضارِبِهم وخِيامِهم الَّتي كانوا يَضرِبونَها إذا نَزَلوا).

وقال البِقاعي: (ذِي الْأَوْتَادِ أي: الَّذي ثبَّتَ مُلْكَه تَثبيتَ مَن يَظُنُّ أنَّه لا يَزولُ بالعساكِرِ والجنودِ وغَيرِهم مِن كُلِّ ما يَظُنُّ أنَّه يَشُدُّ أمْرَه؛ مِنَ الجنَّاتِ والعُيونِ والزُّروعِ والمقاماتِ الكريمةِ؛ فصارت له اليَدُ المبسوطةُ في المُلْكِ).

قال ابن كثير: ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد . وهكذا قال سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدي . قال السدي : كان يربط الرجل ، كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشدخه .

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ [ص: 12].

﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿11﴾

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) أي: هؤلاء الَّذين سَلَف ذِكْرُهم -عادٌ وثَمودُ وفِرعونُ- قد تجاوَزوا حَدَّهم في الظُّلمِ والطُّغيانِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: الطُّغيانُ: شِدَّةُ العِصيانِ والظُّلمِ، ومعْنى طُغيانِهم في البِلادِ أنَّ كلَّ أُمَّةٍ مِن هؤلاء طَغَوا في بَلَدِهم، ولَمَّا كان بَلَدُهم مِن جُملةِ البلادِ -أي: أراضي الأقوامِ- كان طُغيانُهم في بَلَدِهم قد أوقَعَ الطُّغيانَ في البلادِ؛ لأنَّ فَسادَ البعضِ آيلٌ إلى فَسادِ الجَميعِ بسَنِّ سَنَنِ السُّوءِ، ولذلك تَسبَّبَ عليه مِن قولِه: الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ قولُه: فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ؛ لأنَّ الطُّغيانَ يُجرِّئُ صاحبَه على دَحْضِ حُقوقِ النَّاسِ، فهو مِن جِهةٍ يكونُ قُدوةَ سُوءٍ لأمثالِه ومَلَئِه، فكلُّ واحدٍ منهم يَطْغى على مَن هو دونَه، وذلك فَسادٌ عَظيمٌ؛ لأنَّ به اختلالَ الشَّرائعِ الإلهيَّةِ والقَوانينِ الوَضعيَّةِ الصَّالحةِ، وهو مِن جِهةٍ أُخرى يُثيرُ الحَفائظَ والضَّغائنَ في المطغيِّ عليه مِن الرَّعيَّةِ، فيُضمِرون السُّوءَ للطَّاغينَ، وتَنْطوي نُفوسُهم على كَراهيةِ وُلاةِ الأُمورِ وتَربُّصِ الدَّوائرِ بهم، فيَكونون لهم أعداءً غيرَ مُخلِصي الضَّمائرِ، ويكونُ رِجالُ الدَّولةِ مُتوجِّسينَ منهم خِيفةً، فيَظُنُّون بهم السُّوءَ في كلِّ حالٍ ويَحذَرونَهم، فتَتوزَّعُ قُوَّةُ الأُمَّةِ على أفرادِها عِوَضَ أنْ تتَّحِدَ على أعدائِها، فتُصبِحُ للأُمَّةِ أعداءٌ في الخارجِ وأعداءٌ في الدَّاخلِ، وذلك يُفْضي إلى فَسادٍ عَظيمٍ؛ فلا جَرَمَ كان الطُّغيانُ سَبَبًا لكَثرةِ الفسادِ.

﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ ﴿12﴾

(فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) أي: فأكثَروا في البِلادِ العمَلَ بالكُفْرِ والعِصيانِ، والظُّلمِ والعُدْوانِ. موسوعة التفسير

✡والطغيان تجاوز الحد الذى يؤدى إلى الإفساد في كل شيء حتى وصل التجاوز بفرعون أن يقول أنا ربكم الأعلى فلما أكثروا في الأرض الفساد جاءت استجابة نداءات المظلومين والمستضعفين وهى تطهير الأرض من المفسدين وأذاقهم العذاب الأليم.

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿13﴾

(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) أي: فأنزَلَ رَبُّك عليهم -يا محمَّدُ- عَذابَه الشَّديدَ؛ فهَلَكوا جَميعًا. موسوعة التفسير

🗀الصب هنا توحى بالسرعة في نزول العذاب بالمضروب والشدة فلا يستطيع رده، {سَوْطَ عَذَابٍ} كلمة سوط توحى بالتكرار والتردد على عكس السيف مرة واحدة تجهز على الحياة، أما السوط فتوحى باستمرارية العذاب وتتابعه ياله من مشهد مجرد تخيله فقط شديد على النفس، فليطمئن قلب المؤمن وينم قرير العين، لأن له رباً يرى ويعلم لا يفوته شيء، ولا يخرج عن مشيئته شيء، هو بالمرصاد لكل من طغى وتجبر، رب ينتصر للمظلوم من الظالم.

كما قال تعالى: فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت: 40]

وقال سُبحانَه: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا [محمد: 10] .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ﴿14﴾

(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) أي: إنَّ رَبَّك -يا محمَّدُ- مُراقِبٌ لأعمالِ الطَّاغينَ المفسِدينَ في الدُّنيا، ومُطَّلِعٌ على أفعالِهم، وسامِعٌ لأقوالِهم؛ حتَّى يأخُذَهم ويُهلِكَهم. موسوعة التفسير

✡أنَّه لا مَلجأَ وَلا مَهرَبَ مِنَ اللهِ إلَّا إليه.

كما قال تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ [الحج: 48] .

📄قال ابن القيم: تضَمَّنتْ هذه السُّورةُ ذَمَّ مَنِ اغتَرَّ بقُوَّتِه وسُلطانِه ومالِه، وهم هؤلاء الأُمَمُ الثَّلاثةُ: قَومُ عادٍ اغتَرُّوا بقوَّتِهم، وثمودُ اغتَرُّوا بجنَّاتِهم وعُيونِهم وزُروعِهم وبَساتينِهم، وقومُ فِرعونَ اغتَرُّوا بالمالِ والرِّياسةِ؛ فصارتْ عاقِبتُهم إلى ما قَصَّ اللهُ علينا، وهذا شأنُه دائمًا مع كلِّ مَنِ اغتَرَّ بشَيءٍ مِن ذلك؛ لا بُدَّ أنْ يُفسِدَه عليه، ويَسلُبَه إيَّاه.

✡قال القصاب: تنبيهٌ وتقريعٌ لِمَن بعدَهم ألَّا يَعْمَلوا بمِثْلِ عَمَلِهم، فيَنزِلَ بهم ما أُنزِلَ بأولئك مع بأسِهم وشِدَّتِهم وعَدَدِهم، وأموالِهم الَّتي أنفَقوها ... كيف أفناهم وأبادَهم، ومحا آثارَهم، وجعلَهم عِبرةً للمُعتَبِرينَ، وعِظَةً للمُتَّعِظينَ.